

تُؤَلِّمُ الْوَعْلَانَ الْفَجْرَ

# لَوْلَا الصَّبَاحِ

## (١) النَّهْرُ الْمُظْلِمُ

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ، كَانَتْ هُنَاكَ فَتَاةٌ سَمْرَاءُ، وَجْهَهَا حَسَنُ الْمَلَامِحِ، وَقَامَتُهَا فَارِعَةُ الطُّولِ، وَرُوحُهَا خَفِيفَةٌ مُؤَنَسَةٌ. وَقَدْ سَمَّوْهَا مِنْذُ وُلِدَتْ: «لَوْلَا الصَّبَاحِ». عَاشَتْ الْفَتَاةُ «لَوْلَا الصَّبَاحِ» فِي رِعَايَةِ أَخَوَيْنِ لَهَا، أَحَدُهُمَا اسْمُهُ: «مَرْجَانُ»، وَالْآخَرُ اسْمُهُ: «كَهْرْمَانُ».

وَكَانَ مَقَامُ تِلْكَ الْأُسْرَةِ الطَّيِّبَةِ فِي كُوخٍ صَغِيرٍ، قَرِيبٍ مِنْ أَحَدِ الْأَنْهَارِ الْكَثِيرَةِ، فِي قَارَةِ «أَفْرِيْقِيَا» الْمَعْرُوفَةِ.

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ النَّهْرُ نَهْرًا مُتَّسِعَ الْجَوَانِبِ، بَلْ هُوَ نَهْرٌ ضَيْقُ الْأَنْحَاءِ، مُظْلِمُ الْأَرْجَاءِ. وَكَانَتْ تُحِيطُ بِهِ الْغَابَاتُ الْمُوحِشَةُ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ، فَتَكَادُ تَحْجُبُهُ عَنِ الْعُيُونِ وَتُخْفِيهِ. كَانَتْ الشَّمْسُ تَسْطَعُ فَوْقَهُ، وَلَكِنَّ الْأَشْجَارَ الْعَالِيَةَ الْمُتْرَاحِمَةَ، تَكَادُ تَمْنَعُ ضَوْءَ الشَّمْسِ أَنْ يَنْفِذَ إِلَى صَفْحَتِهِ.

فِي هَذَا النَّهْرِ كَانَتْ التَّمَّاسِيحُ تَمْرُحُ، وَهِيَ أَمَنَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ بِمَا يَسُودُهُ مِنْ هُدُوءٍ وَسُكُونٍ؛ فَلَمْ يَكُنْ يَوْمٌ هَذَا النَّهْرَ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، يَمْرُونَ بِتِلْكَ الْبُقْعَةِ، وَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْجِهَةِ الَّتِي يَقْصِدُونَهَا.



## (٢) الْوَطْنُ الْعَزِيزُ

وَعَلَى الرَّعْمِ مِنْ أَنَّ النَّهْرَ يَعْشَاهُ الظَّلَامُ، وَأَنَّ الشَّجَرَ يَنْمُو عَلَى شَاطِئِهِ دُونَ نِظَامٍ، كَانَتْ «لُؤْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» لَا تَكَادُ تَشْعُرُ بِأَنَّ الْحَيَاةَ بِجَانِبِ هَذَا النَّهْرِ حَيَاةً غَيْرَ طَيِّبَةٍ. وَلَمْ تَكُنْ تَضْجُرُ بِالْمَنَاظِرِ الْمُوَحِّشَةِ مِنْ حَوَالِيهَا؛ بَلْ كَانَتْ تُحَسُّ السَّعَادَةَ كُلَّهَا وَهِيَ تُقِيمُ فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْخَالِيَةِ مِنَ الصَّخَبِ وَالضُّوْءِ.

لَقَدْ وُلِدَتْ «لُؤْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَنَشَأَتْ فِي ذَلِكَ الْجَوِّ؛ فَتَعَوَّدَتْ نَفْسُهَا مَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهَا مِنَ الْمَنَاظِرِ، وَأَصْبَحَتْ تَأَلَّفُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَتَجِدُ فِيهِ عَيْشَةً رَاضِيَةً.

## لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

امْتَلَأَتْ نَفْسُ «لَوْلُوَّةِ الصَّبَاحِ» بِحُبِّ الْأَرْضِ الَّتِي قَضَتْ فِيهَا طُفُولَتَهَا وَصِبَاهَا، وَرَأَتْ فِيهَا جَمَالًا، وَأَحْسَتْ فِيهَا بِالسَّعَادَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ وَطَنَ الْإِنْسَانِ عَزِيزٌ عَلَيْهِ، كَيْفَمَا كَانَتْ الْحَيَاةُ فِيهِ. وَالْإِنْسَانُ لَا يَرْضَى بِوَطْنِهِ بَدِيلًا، وَإِنْ كَانَ الْبَدِيلُ أَفْضَلَ مِنْهُ.  
حَقًّا كَانَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» فَتَاةً طَيِّبَةً، نَبِيلَةً الْمَشَاعِرِ، كَرِيمَةً الْعَوَاطِفِ. وَمَنْ طُبِعَتْ نَفْسُهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ، يَرْتَبِطُ بِوَطْنِهِ، كَمَا يَرْتَبِطُ بِأَسْرَتِهِ، وَيَحْسُ بِأَنَّ وَطَنَهُ جُزْءٌ مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ هُوَ جُزْءٌ مِنْ وَطْنِهِ، لَا يَنْفَصِلُ عَنْهُ.



### (٣) رِحْلَةُ الْأَخَوَيْنِ

وَكَانَ أَحْوَاهَا: «مَرْجَانُ» وَ«كَهْرْمَانُ» قَدْ مَرَنَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى الصَّيْدِ وَالْقَنْصِ فِي الْبَرَابِرِي وَالْأَدْعَالِ، وَلِكِنَّهُمَا كَانَا يَغْدُوَانِ فِي الصَّبَاحِ وَيَرْوَحَانِ فِي الْمَسَاءِ، أَوْ يَخْرُجَانِ فِي جُنْحِ اللَّيْلِ وَيَعُودَانِ قَبْلَ مَشْرِقِ الشَّمْسِ؛ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ طَوْعًا لِمَا يُرِيدَانِ أَنْ يَقْتَنِصَاهُ أَوْ يَصْطَادَاهُ. فَمَنْ الصَّيْدِ مَا يَسْتَطَاعُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ فِي وَضْحِ النَّهَارِ، وَمَنْ الصَّيْدِ مَا لَا يُمَكِّنُ الْحُصُولَ عَلَيْهِ إِلَّا تَحْتَ أَسْتَارِ الظَّلَامِ.

وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي، جَلَسَ الْأَخَوَانِ إِلَى أُخْتَيْهِمَا «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» لِيُخْبِرَاهَا بِأَنَّهُمَا قَدْ اعْتَزَمَا أَنْ يَقُومَا مَعًا بِرِحْلَةِ صَيْدٍ، تَسْتَعْرِقُ بَضْعَةَ أَيَّامٍ وَيَضَعُ لَيَالٍ، وَأَنَّهُمَا سَيُعَادِرَانِ الدَّارَ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ، لِلْقِيَامِ بِتِلْكَ الرِّحْلَةِ الَّتِي دَبَّرَا أَمْرَهَا، مُنْذُ وَقْتِ قَرِيبٍ. أَحْسَسَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» بِأَلَمِ حِينَ سَمِعَتْ هَذَا الْخَبَرَ، وَطَفَرَتْ مِنْ عَيْنَيْهَا الدُّمُوعُ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ مَنَعَ نَفْسَهَا مِنَ الْبُكَاءِ.

قَالَ لَهَا أَحْوَاهَا «مَرْجَانُ»: «تَجَلَّدِي أَيَّتُهَا الْأُخْتُ الْعَزِيزَةُ.»

وَقَالَ لَهَا أَحْوَاهَا «كَهْرْمَانُ»: «لَا تَجَزَّعِي لِغَيْبَتِنَا.»

قَالَتْ لَهُمَا: «كَيْفَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرَى الْقَمَرَ يَسْطُوعُ فِي السَّمَاءِ مَرَّاتٍ، فِي لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ، دُونَ أَنْ أَرَكَمَا مَعِي فِي الدَّارِ؟!»

### (٤) قِصَّةُ النَّهْرِ الْفِضِّيِّ

مَالَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» عَلَى أَحْوَيْهَا، تَقُولُ لَهُمَا، مُسْتَعِظَةً: «لِمَاذَا لَا تَجْعَلَانِي أُشَارِكُكُمَا فِي رِحْلَتِكُمَا الَّتِي سَتَقُومَانِ بِهَا؟»

قَالَ لَهَا «مَرْجَانُ»: «مَاذَا لَكَ مِنْ عَمَلٍ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ؟»

وَقَالَ لَهَا «كَهْرْمَانُ»: «هَلْ نَشْتَعِلُ بِحِمَايَتِكَ، أَوْ بِأَمْرِنَا؟»

قَالَتْ لَهُمَا «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» فِي لَهْجَةِ الْمُتَوَسِّلَةِ الضَّارِعَةِ: «سَأَنْتَهَرُ فُرْصَةَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ

لَأَسْأَلَ عَنْ نَهْرِ فِضِّيِّ حَدَّثْتَنِي فِي شَأْنِهِ الْعَجُوزُ «أُمُّ جَعْفَرٍ» الَّتِي تَقِيمُ غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَّا.»

قَالَ «كَهْرْمَانُ»: «لَعَلَّكَ يَا أُخْتَاهُ تَقْصِدِينَ قِصَّةَ ذَلِكَ النَّهْرِ الَّذِي يَغْتَسِلُ فِيهِ الْإِنْسَانُ

الْأَسْمَرُ، فَإِذَا هُوَ نَاصِعُ الْبَيَاضِ!»

## لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

قَالَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»: «نَعَمْ، لَقَدْ حَدَّثْتَنِي «أُمُّ جَعْفَرٍ» أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَانُوا يَمْرُونَ بِذَلِكَ النَّهْرِ الحَافِلِ بِالأَسْرَارِ، وَهُمْ كَمَا وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ سُمِرَ الأَجْسَامِ. فَإِذَا عَبَرُوا إِلَى الشَّاطِئِ الأَخْرِ وَجَدُوا مَاءَهُ قَدْ غَسَلَ أَجْسَادَهُمْ، فَإِذَا هِيَ بَيضاء!»  
قَالَ الأَخُ «مَرْجَانُ»: «إِنَّ العَجُوزَ «أُمُّ جَعْفَرٍ» صُنْدُوقٌ مَمْلُوءٌ بِأَسَاطِيرَ وَخُرَافَاتٍ، لَا يَكَادُ يُصَدِّقُهَا عَاقِلٌ ذَكِيٌّ.»  
وَقَالَ الأَخُ «كَهْرَمَانُ»: «لَا تَنَحَّدِعِي بِمَا قَالَتْهُ لِكَ العَجُوزِ.»

## (٥) نَشِيدُ الصَّبَاحِ

مَا زَالَ الأَخْوَانِ «مَرْجَانُ» وَ«كَهْرَمَانُ» بِأُخْتِهِمَا، حَتَّى أَقْنَعَاهَا بِأَنَّ تَبَقَى فِي البُقْعَةِ، وَأَنَّ تَعْدِلَ عَنِ رَغْبَتِهَا الشَّدِيدَةِ فِي مُرَافَقَتِهِمَا خِلَالَ رِحْلَةِ الصَّيْدِ، وَلَمْ يَدَّخِرَا وَسْعًا فِي إِفْهَامِهَا أَنَّ قِصَّةَ «النَّهْرِ الفِضِّيِّ» قِصَّةٌ مِنَ الأَسَاطِيرِ الَّتِي يَحُلُو لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَخْتَرِعُوهَا، وَأَنَّ يَخْدَعُوا بِهَا بَعْضَ العُقُولِ السَّادِجَةِ، وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الحَقِيقَةِ، لَا وَجُودَ لَهَا فِي الوَاقِعِ المَشْهُودِ.

وَقَالَ «مَرْجَانُ» لِأَخِيهِ «كَهْرَمَانُ»: «هَلْ تَظُنُّ أَنَّ أُخْتَنَا «لَوْلُوَّةَ الصَّبَاحِ» قَدِ اقْتَنَعَتْ حَقًّا بِمَا قُلْنَا لَهَا، وَأَنَّ فِكْرَهَا قَدْ ذَهَبَ عَنْهُ خَيَالُ ذَلِكَ «النَّهْرِ الفِضِّيِّ» المَوْهُومِ؟»  
قَالَ «كَهْرَمَانُ» لِأَخِيهِ: «أَرْجُو ذَلِكَ، فَإِنَّ «لَوْلُوَّةَ الصَّبَاحِ» ذَكِيَّةٌ فِطْنَةٌ، وَإِذَا تَأَثَّرَتْ بَعْضُ التَّأَثُّرِ بِمَا تَسْمَعُ مِنَ القِصَصِ وَالخُرَافَاتِ، فَإِنَّهَا سُرْعَانَ مَا تَعُودُ إِلَى الصَّوَابِ.»  
وَنَامَ الأَخْوَانِ فِتْرَةً مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ كِلَاهُمَا يَتَأَهَّبَانِ لِرِحْلَةِ الصَّيْدِ. وَكَانَ مِنَ عَادَةِ «مَرْجَانِ» أَنْ يَصْقَلُ رُمْحَهُ بِدِهَانٍ يَجْعَلُ حَدَّهُ مُرْهَقًا، وَأَنْ يُنْشِدَ الأَرْجُوزَةَ التَّالِيَةَ، يُنَاجِي بِهَا الرُّمْحَ، وَهُوَ فَرِحٌ مَسْرُورٌ:

إِنْ رُحْتَ تَلْقَى — مَرَّةً — عَدْوًا  
أَحْمَقٌ، يَمْشِي تَائِبًا مَرْهُوًّا  
جَبَّارَ غَآبٍ، أَنْسَى الحُنُوءَا  
وَأَلْهَمَ القُسُوءَةَ وَالْعُتُوءَا

## لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

كَأَنَّهُ اللَّيْثُ إِذَا تَقَوَّى  
جَلَجَلَ، مِثْلَ الرَّعْدِ، حِينَ دَوَّى  
وَعَوَّةَ الذَّنْبِ، إِذَا تَلَوَّى  
كَالْأَفْعَوَانَ التَّفَّ أَوْ تَحَوَّى  
فَكُنْ لَهُ — مِنْ زُهُوه — شِفَاءً  
وَكُنْ لَهُ — مِنْ دَائِهِ — دَوَاءً  
وَأَنَّهُ عُمَرَ الْمُعْتَدِي إِنْهَاءً  
وَأَقْضِ عَلَى حَيَاتِهِ قَضَاءً  
وَاجْلِبْ لَهُ الْمِحْنَةَ وَالشَّقَاءَ  
وَاسْتَلْهِمِ الْجِدَّةَ وَالْمَضَاءَ  
بِشَكَّةٍ تَنْتَظِمُ الْأَحْشَاءَ  
وَطَعْنَةً — فِي قَلْبِهِ — نَجْلَاءَ  
تَنْرُكُهُ مَمْرَقًا أَشْلَاءَ

## (٦) وَسَاوِسُ الْعَزَلَةِ

مَا كَادَتْ الشَّمْسُ تُحْيِي الكَوْنَ بِنُورِهَا، حَتَّى بَدَأَ الْأَخْوَانِ رِحْلَتَهُمَا الْمَنْشُودَةَ، الَّتِي تَسْتَمِرُّ بِضَعَّةِ أَيَّامٍ وَيَضَعُ لَيَالٍ.

وَدَعَّ الْأَخْوَانَ «لَوْلُوَّةَ الصَّبَاحِ»، وَأَوْصِيَاهَا بِأَنْ تَكُونَ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّهِمَا، فِي السُّلُوكِ الَّذِي تَتَّبِعُهُ فِي أَثْنَاءِ غَيْبَتِهِمَا.

وَمَضَى الْيَوْمَ الْأَوَّلُ، وَ«لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» وَجِيدَةٌ فِي الْكُؤُخِ.

وَمَا لَبِثَتْ أَنْ ضَجِرَتْ بِالْعَزَلَةِ، وَأَصْبَحَتْ كَاسِفَةَ الْبَالِ.

وَفِي صُبْحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ أَخَذَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» تَفَكَّرُ فِي حِكَايَةِ النَّهْرِ الْفِضِّيِّ، الَّذِي يَجْعَلُ السَّمْرَاءَ بَيْضَاءَ، مَتَى عَبَرْتَهُ!

لَقَدْ أَكَّدَتْهُ لَهَا «أُمُّ جَعْفَرٍ»، وَهِيَ خَبِيرَةٌ بِالْحَيَاةِ، وَقَدْ عَرَفَتْ فِي عُمْرِهَا الطَّوِيلِ مَا لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهَا مِنَ الشَّبَابِ، فَإِنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا تَجَارِبٌ مَحْدُودَةٌ.

## لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

ماذا يدُعو «أمُّ جَعْفَرٍ» إلى أن تَكْذِبَ عَلَيْهَا، وَتَقْصَّ عَلَيْهَا قِصَّةَ خُرَافِيَّةٍ لا أَصْلَ لَهَا؟  
وَكَيْفَ لا تَكُونُ صَادِقَةً في قِصَّتِهَا، وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ كَذِبَهَا مَفْضُوحٌ بَعْدَ حِينٍ؟  
اسْتَوَلَتْ هَذِهِ الْوَسَاوِسُ عَلَى نَفْسِ «لَوْلُوَّةِ الصَّبَاحِ»؛ فَاسْتَقَرَّ رَأْيُهَا عَلَى أَنْ تَخْرُجَ مِنَ  
الْكُوخِ، وَتَذْهَبَ لِلِقَاءِ «أُمِّ جَعْفَرٍ».





(٧) عِنْدَ «أُمِّ جَعْفَرٍ»

نَهَبَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» إِلَى حَيْثُ تُقِيمُ «أُمُّ جَعْفَرٍ» الْعَجُوزُ.  
اسْتَقْبَلَتْهَا الْعَجُوزُ بِحَفَاوَةٍ، وَرَحَّبَتْ بِحُضُورِهَا أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ.  
قَالَتْ لَهَا «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»: «لَقَدْ حَضَرْتُ إِلَيْكَ، لِاسْتَوْضَحَ مِنْكَ شَأْنُ «النَّهْرِ الْفِضِّي»  
الَّذِي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ، وَشَوَّقْتَنِي إِلَيْهِ.»

قَالَتْ لَهَا «أُمُّ جَعْفَرٍ»: «إِنَّهُ يَا بُنَيَّتِي نَهْرٌ بَعِيدٌ، يَجْرِي وَرَاءَ تِلْكَ الْغَابَةِ الْكَبِيرَةِ  
الْفَسِيحَةِ! وَقَدْ وَصَلَ إِلَيْهِ أَنَا كَثِيرُونَ، وَهُمْ سُمُرُ الْأَجْسَامِ، مِثْلِي وَمِثْلِكَ، فَلَمَّا اغْتَسَلُوا  
فِي مَائِهِ أَصْبَحُوا — مِنْ بَعْدُ — بِيضًا، وَزَالَ عَنْهُمْ لَوْنُهُمُ الْأَسْمَرُ.»  
قَالَتْ لَهَا الْفَتَاةُ: «مَنْ أَيْنَ عَلِمْتَ بِهَذَا النَّهْرِ يَا أُمَاهُ؟ هَلْ رَأَيْتِ النَّاسَ الْبَيْضَ الَّذِينَ  
مَرُّوا بِهِ، وَاغْتَسَلُوا فِي مَائِهِ؟»

قَالَتْ لَهَا «أُمُّ جَعْفَرٍ»: «لَا أَكْذِبُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَاهُ. لَمْ أَرَ «النَّهَرَ الْفِضِّي»، وَلَمْ أَلْتَقِ بِمَنْ  
وَصَلَ إِلَيْهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ «فَارِسِ الْغَابَةِ» الْمَقِيمِ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ. وَطَالَمَا  
حَاوَلْتُ إِقْنَاعِي بِالذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى النَّهْرِ، فَلَمْ أُوَافِقْ، لِأَنِّي لَا أُرِيدُ تَغْيِيرَ لَوْنِي.»  
عَزَمَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» عَلَى أَنْ تَبْحَثَ عَنْ «فَارِسِ الْغَابَةِ»، لِكَيْ يُحَقِّقَ حُلْمَهَا فِي  
الْوُصُولِ إِلَى «النَّهْرِ الْفِضِّي» الْعَظِيمِ.

(٨) عِنْدَ «فَارِسِ الْغَابَةِ»

خَرَجَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» مِنْ عِنْدِ «أُمِّ جَعْفَرٍ»، قَاصِدَةً الْمَكَانَ الَّذِي وَصَفْتَهُ لَهَا، حَتَّى  
تَلْقَى فِيهِ «فَارِسَ الْغَابَةِ»، الْحَبِيرَ بِمَوْجِعِ «النَّهْرِ الْفِضِّي» الْعَجِيبِ، لِكَيْ يَدُلَّهَا عَلَيْهِ.  
بَعْدَ سَيْرٍ طَوِيلٍ، بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْعَالِيَةِ، وَالْأَعْشَابِ الْكَثِيفَةِ، سَمِعَتْ صَوْتًا يَقُولُ: «مَنْ  
ذَلِكَ الَّذِي يَمْتَنِي فِي أَرْضِي؟»  
صَاحَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»: «إِنْ كُنْتُ «فَارِسَ الْغَابَةِ»؛ فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَلْقَاكَ، لِأَتَحَدَّثَ  
إِلَيْكَ فِي شَأْنِ «النَّهْرِ الْفِضِّي»..»

## لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

بَرَزَ لَهَا «فَارِسُ الْغَابَةِ»، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ فَارِعُ الْقَامَةِ، مَتِينُ الْعَضَلَاتِ، عَلَيْهِ دَلَائِلُ الْقُوَّةِ، وَمَا كَادَ يَرَاهَا فَتَاءَةً فِي مُقْتَبِلِ الشَّبَابِ، حَتَّى سَرَّهُ مَرَّهَا، فَاقْتَرَبَ مِنْهَا وَحَيَّاهَا. قَالَ لَهَا: «مَنْ ذَلِكَ عَلَيَّ؟ وَمَاذَا تَبَغَّيْنَ مِنَ النَّهْرِ الْفِضِيِّ؟»  
أَخْبَرَتْهُ بِمَا دَارَ مِنْ حَدِيثِ بَيْنِهَا وَبَيْنَ الْعَجُوزِ «أُمِّ جَعْفَرٍ»، وَأَنَّهَا دَلَّتْهَا عَلَيْهِ، وَأَبْدَتْ لَهُ رَغَبَتَهَا فِي أَنْ يَصِلَ بِهَا إِلَى «النَّهْرِ الْفِضِيِّ»، لِتَعْبُرَهُ، وَتَغْتَسِلَ فِيهِ، حَتَّى تَعُودَ بِيَضَاءٍ. هَذَا «فَارِسُ الْغَابَةِ» رَأْسُهُ لِلْفَتَاةِ، وَأَبْدَى لَهَا أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِتَحْقِيقِ مَا رَغِبَتْ فِيهِ، عَنْ سَمَاحَةِ نَفْسِ، وَطِيبِ خَاطِرٍ.

### (٩) شَرُوطُ «فَارِسِ الْغَابَةِ»

جَلَسَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» تَسْتَرِيحُ فِي كُوخِ «فَارِسِ الْغَابَةِ»، وَقَدِ اخْتَارَهُ فِي أَرْضِ طَيِّبَةٍ، تَكْسُوهَا الْأَزْهَارُ النَّضْرَةَ.

بَعْدَ قَلِيلٍ أَقْبَلَ عَلَيْهَا يَقُولُ لَهَا: «مَا اسْمُكَ؟»

أَجَابَتْهُ عَلَى الْفُورِ، فِي غَيْرِ تَرَدُّدٍ: «اسْمِي لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ.»

قَالَ لَهَا: «كَيْفَ تَرَيْنَنِي فِي نَظْرِكَ، أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ الطَّيِّبَةُ؟»

قَالَتْ لَهُ: «لَقَدْ أَحْسَنْتَ اسْتِقْبَالِي، وَرَحَّبْتَ بِطَلْبَتِي، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّكَ رَجُلٌ كَرِيمُ الْخُلُقِ، حَسَنُ الْمُعَامَلَةِ.»

قَالَ لَهَا: «هَلْ تُعَارِضِينَ فِي أَنْ أَكُونَ زَوْجًا لَكَ إِذَنْ؟»

قَالَتْ لَهُ: «لَقَدْ جِئْتُكَ لِتَصِلَ بِي إِلَى النَّهْرِ الْفِضِيِّ.»

قَالَ لَهَا: «إِنِّي أَخْطُبُكَ إِلَى نَفْسِكَ، لِكَيْ أُحَقِّقَ لَكَ كُلَّ مَا تَرَعْبِينَ فِيهِ، دُونَ أَنْ أَعْصِيَ لَكَ أَمْرًا.»

قَالَتْ لَهُ: «الْحَدِيثُ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ مَوْقُوفٌ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحْوَى: «مَرْجَانٌ» وَ«كَهْرْمَانٌ».

أَلَا تَعْرِفُهُمَا؟»

قَالَ لَهَا: «لَمْ أَسْمَعْ بِاسْمِهِمَا مِنْ قَبْلُ، وَلَعَلِّي رَأَيْتُهُمَا.»

قَالَتْ لَهُ: «نُوجِلُ الْكَلَامَ فِي مَوْضُوعِ الزَّوْجِ، حَتَّى نَلْقَى أَحْوَى، وَأَرْجُو مِنْكَ أَلَّا

تُحَدِّثَنِي فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ بَعْدَ الْآنَ.»



### (١٠) الطَّاهِيَّةُ الْمَاهِرَةُ

لَمْ يَجِدْ «فَارِسُ الْغَابَةِ» بُدًّا مِنَ الْإِذْعَانِ لِقَوْلِ «لَوْلُوَّةِ الصَّبَاحِ».  
رَأَى أَلَّا يُفَاتِحَهَا مِنْ بَعْدُ فِي مَوْضِعِ الزَّوْاجِ، مُكْتَفِيًا مِنْهَا بِأَنَّهَا تَعِيشُ فِي كُوْحِهِ،  
وَتَقُومُ بِخِدْمَتِهِ، وَتُهَيِّئُ لَهُ عَيْشَةً رَاضِيَةً.

كَانَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» طَاهِيَّةً مَاهِرَةً، فَكَانَ «فَارِسُ الْغَابَةِ» يَخْرُجُ — كُلَّ يَوْمٍ —  
يَصْطَادُ مَا يَتَقَوَّتُ بِهِ؛ مِنَ النَّهْرِ سَمَكًا، وَمِنَ الْغَابَةِ أَرْنَبًا بَرِّيًّا، أَوْ غَزَالًا، أَوْ ظَبِيَّةً.  
لَقَدْ اسْتَمْتَعَ «فَارِسُ الْغَابَةِ» بِطَعَامٍ لَمْ يَسْتَمْتِعْ بِهِ فِيمَا مَضَى مِنْ عُمْرِهِ، إِذْ كَانَتْ  
«لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» تَتَقَنُّ فِي طَهْيِ مَا يُخْضَرُ لَهَا مِنَ الصَّيْدِ، لِكَيْ يَكُونَ شَهِيًّا الْمَذَاقِ.

## لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

وَمَضَتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّامٌ، وَكَلَّمَا سَأَلَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»: «مَتَى نَبْدَأُ رِحْلَتَنَا إِلَى «النَّهْرِ  
الْفِضِّيِّ» يَا «فَارِسَ الْعَابَةِ»؟»  
أَجَابَهَا بِقَوْلِهِ: «النَّهْرُ الْفِضِّيُّ لَا يَكُونُ فِضِّيًّا يُعْطِي سِحْرَهُ الْعَجِيبَ لِمَنْ يَعْبُرُهُ  
وَيَعْتَسِلُ فِيهِ، إِلَّا حِينَ يَكْسُوهُ ضَوْءُ الْقَمَرِ لَيْلَةَ التَّمَامِ، وَسَيَجِينُ مَوْعِدُهَا، فَلَا تَعْجَلِي!»  
فَلَا تَمْلِكُ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» إِلَّا الْإِنْتِظَارَ، عَلَى مَضَضٍ، وَهِيَ تَأْمُلُ أَنْ يَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا  
مِنْ فَضْلِهِ بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ.



(١١) فَلَقَ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ»

تَعَوَّدَ «فَارِسُ الْغَابَةِ» هَذِهِ الْحَيَاةَ الْجَدِيدَةَ، الَّتِي يَحْيَاهَا فِي صُحْبَةِ الْفَتَاةِ الْوَدِيعَةِ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ».

يَخْرُجُ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ لِيَصْطَادَ الْغَزْلَانَ أَوْ الْأَرَانِبَ مِنْ مَسَارِهَا فِي السُّهُولِ وَالْأَوْدِيَةِ، أَوْ يَأْتِي مِنْ صَيْدِ النَّهْرِ بِمَا يَنْبَسِرُ لَهُ، لِكَيْ يَنْعَمَ بِهِ طَعَامًا شَهِيًّا، أَنْصَجَتْهُ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ».

أَمَّا هِيَ، فَكَانَتْ تَقْضِي يَوْمَهَا بَيْنَ إِنْضَاجِ الطَّعَامِ، وَرِعَايَةِ الْأَزْهَارِ، وَهِيَ مَشْغُولَةٌ الذَّهْنَ، لَا تَدْرِي مَصِيرَهَا.

وَكَانَتْ «لَوْلُؤَةُ الصَّبَاحِ» تَخْتَلِسُ مِنْ وَقْتِهَا سَاعَةً أَوْ بَعْضَ سَاعَةٍ، لِكَيْ تَخْرُجَ إِلَى الْعِرَاءِ، تُجِيلُ بَصَرَهَا فِي كُلِّ الْأَرْجَاءِ، لَعَلَّهَا تَجِدُ أَحَدًا يُفَرِّجُ كُرْبَتَهَا، أَوْ يَحُلُّ عُقْدَتَهَا.

لَقَدْ أَرْهَقَهَا التَّفْكَيرُ، فَشَحِبَ لَوْنُهَا، وَهَزَلَ جِسْمُهَا، وَبَدَأَ عَلَيْهَا الْإِعْيَاءُ، فَلَمْ تَعُدْ تَقْوَى عَلَى مُوَاصَلَةِ الْعَمَلِ وَالنَّشَاطِ؛ فَتَرَاحَتْ فِي الْقِيَامِ بِمَا كَانَتْ تَقُومُ بِهِ فِي الْكُوخِ.

وَأَنْكَرَ ذَلِكَ مِنْهَا «فَارِسُ الْغَابَةِ»، فَحَمَلَهَا إِلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْكُوخِ، وَرَبَطَهَا بَيْنَ أَغْصَانِهَا، تَعْذِيبًا لَهَا.

وَتَرَكَهَا قَائِلًا: «سَتَرَيْنَ عَذَابًا أَشَدَّ، إِذَا لَمْ تَدْعِنِي لِأَمْرِي!»



(١٢) مَقْدَمُ الْأَخَوَيْنِ

لَمَّا رَجَعَ «مَرْجَانُ» وَأَخُوهُ «كَهْرَمَانُ» مِنْ رِحْلَتِهِمَا، لَمْ يَجِدَا أُخْتَهُمَا «لَوْلُؤَةَ الصَّبَاحِ» كَمَا تَرَكَاهَا فِي الْكُوخِ، فَاسْتَدَّتْ دَهَشَتُهُمَا، وَمَلَأَ الدُّعْرُ قَلْبَهُمَا! وَمَا أَسْرَعَ أَنْ تَذَكَّرَا حَدِيثَ «لَوْلُؤَةَ الصَّبَاحِ» عَنِ «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ»، وَمَا قَالَتْهُ لَهَا «أُمَّ جَعْفَرٍ» فِي شَأْنِ ذَلِكَ النَّهْرِ، فَذَهَبَا عَلَى الْفَوْرِ إِلَى كُوخِهَا؛ فَأَقْسَمَتِ الْعَجُوزُ لِلْأَخَوَيْنِ أَنَّهَا لَا تَعْرِفُ مَصِيرَ «لَوْلُؤَةَ الصَّبَاحِ»، وَكُلُّ مَا تَعَلَّمَهُ أَنَّهَا حَرَجَتْ تَبَحُّثُ عَنْ «فَارِسِ الْغَابِيَةِ»، لِيَمْكِنَهَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى «النَّهْرِ الْفِضِّيِّ».

## لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

وَمَا زَالَ الْأَخْوَانِ، يَطْوِيَانِ أَرْضَ الْغَابَةِ، وَيَجُوسَانِ خِلَالَ أَشْجَارِهَا، وَيَنْفُذَانِ هُنَا وَهُنَاكَ إِلَى مَسَارِبِهَا، حَتَّى سَمِعَ «مَرْجَانُ» أُنِينًا عَلَى بُعْدٍ، فَتَبَيَّنَ فِيهِ صَوْتُ أُخْتِهِ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ».

سَارَعَ الْأَخْوَانِ يَجْرِيَانِ عَلَى هَدْيِ ذَلِكَ الصَّوْتِ، حَتَّى رَأَتْهُمَا «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»، وَهِيَ مُعَلَّقَةٌ فِي أَغْصَانِ الشَّجَرَةِ الْعَالِيَةِ.

مَا كَادَتْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» تَلْقَاهُمَا حَتَّى التَّقَطَّتْ أَنْفَاسَهَا، وَكَانَتْ عَلَى وَشِكِ الْإِخْتِنَاقِ، وَلَمْ يَشْغَلَا أَنْفُسَهُمَا بِسُؤَالِهَا عَمَّا جَرَى لَهَا، بَلْ كَانَ شُغْلُهُمَا إِنْقَادَهَا مِمَّا هِيَ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ.

## (١٣) نَشِيدُ الصَّخْرِ

تَابَعَتِ الْأُسْرَةُ سَيْرَهَا، مُتَّخِذَةً طَرِيقًا غَيْرَ الطَّرِيقِ الْمَأْلُوفِ، لِكَيْ تَنْجُوَ مِنَ الْهُجُومِ وَالْعُدْوَانِ، وَتَبْلُغَ أَرْضَهَا فِي أَمَانٍ.

وَكَانَ الطَّرِيقُ الَّذِي اخْتَارَتْهُ الْأُسْرَةُ مُلْتَوِيًا ضَيِّقًا، مَمْلُوءًا بِالصُّخُورِ الضَّخَامِ، وَالْأَخْجَارِ الْكِبَارِ. وَلَمْ تَكُنِ الْأُسْرَةُ تَعْرِفُ: أَيْنَ يَنْتَهِي بِهَا ذَلِكَ الطَّرِيقُ؟ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَجِدْ غَيْرَهُ وَسِيلَةً لِلْخَلَاصِ.

وَهُنَاكَ وَقَفَ «مَرْجَانُ» يَتَرَنَّمُ بِنَشِيدِ الصَّخْرِ، حَتَّى يَجِدَ فِيهِ هُوَ وَأَخُوهُ وَأُخْتُهُ أَنْسَاءَ، وَهُمْ يَسِيرُونَ:

«لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» جَاءَتْ شَاكِيَةً  
إِلَيْكَ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ  
صَارِحَةً مِنَ الزَّمَانِ بَاكِئِهِ  
وَهِيَ تَرْجِي - فِي حِمَاكَ - الْعَافِيَةَ

\* \* \*

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ:  
عَلَيْكَ بِالْأَرْهَارِ وَهِيَ نَامِيَةٌ

لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

وَبِالطُّيُورِ فِي الْغُصُونِ شَادِيَهُ

\* \* \*

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ  
بِالزَّهْرِ وَالرَّيْحَانِ، فَوْقَ الرَّابِيَةِ  
وَحَوْلَ أَنْهَارِ الْمُرُوجِ الصَّافِيَةِ

\* \* \*

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ  
بِالكَرْمِ، يُزْهِى بِالْقُطُوفِ الدَّانِيَةِ  
وَبِالْوُرُودِ، فِي الرِّيَاضِ الْحَالِيَةِ  
رَتَّلَ فِيهَا بُلْبُلٌ أَغَانِيَهُ

\* \* \*

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ  
بِالْبَدْرِ، يَجْلُو الظُّلُمَاتِ الدَّاجِيَةَ  
مُنَوَّرًا، بَيْنَ النُّجُومِ الزَّاهِيَةَ

\* \* \*

أَقْسَمْتُ يَا صَخْرَ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ:  
أَنْ تَقْهَرَ الْخَصْمَ الَّذِي وَرَائِيَهُ  
وَتَفْتَحَ الصَّخْرَ الَّذِي أَمَامِيَهُ  
لَعَلَّنَا نَبْلُغُ تِلْكَ النَّاحِيَةَ



لُؤْلُؤَةُ الصَّبَاحِ

فِي مَأْمِنٍ مِّنَ الْخُطُوبِ الْعَادِيَةِ



(١٤) بَيَاضُ الْقُلُوبِ

تَابَعَ الْأَخْوَانَ «مَرْجَانُ» وَ«كَهْرْمَانُ» سَيْرَهُمَا، وَمَعَهُمَا أُخْتُهُمَا «لُؤْلُؤَةُ الصَّبَاحِ»، إِلَى مَوْطِنِهِمُ الْعَزِيزِ، فَجَلَسَ الْأَخْوَانِ مَعَهَا، يَسْتَوْضِحَانِهَا مَا حَدَّثَ لَهَا، بَعْدَ غَيْبَتِهِمَا فِي رِحْلَةِ الصَّيْدِ.

## لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

فَلَمْ تَحْفَ عَنْهُمَا شَيْئًا، وَكَانَتْ صَادِقَةً فِي حِكَايَةِ مَا جَرَى، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهَا أَخْطَأَتْ  
فِيمَا أَقْدَمَتْ عَلَيْهِ، نَادِمَةً عَلَى مَا فَعَلَتْ أَشَدَّ النَّدَمِ، مُعْتَزِمَةً أَلَّا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْخَطَأِ  
مَرَّةً أُخْرَى.

وَلَكِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ قَالَتْ لِأَخْوِيهَا: «لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْبَحْثِ عَنِ «النَّهْرِ الْفِضِيِّ» الَّذِي نَعْتَسِلُ  
فِيهِ، لِنُصْبِحَ فِي عِدَادِ الْبَيْضِ!»

فَبَادَرَ أَخُوها «مَرْجَانُ» يَقُولُ لَهَا: «مَاذَا يَعْيبُكَ يَا أختَاهُ، إِذَا لَمْ تَكُونِي بَيْضَاءَ؟  
لَيْسَ فِي بِيَاضِ اللَّوْنِ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ. إِنَّمَا الشَّرْفُ الرَّفِيعُ بِيَاضِ الْقَلْبِ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ،  
وَجَمَالِ الْخُلُقِ!»

وَقَالَ لَهَا «كَهْرَمَانُ»: «لَا تَشْغَلِي بِالْكَ بِالْخُرَافَاتِ، وَلَا تُلْقِي سَمْعَكَ لِلْأَوْهَامِ. لَقَدْ  
أَخْطَأْتَ حَقًّا، وَلَكِنَّكَ حَفِظْتِ كَرَامَتِكَ، وَكُتِبَتْ لِكَ السَّلَامَةُ وَالنَّجَاةُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.»  
وَلَمْ تَعُدْ «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» — فِيمَا بَعْدَ ذَلِكَ — تَبْحَثُ عَنِ النَّهْرِ الْخُرَافِيِّ الْمَوْهُومِ،  
الَّذِي يُحِيلُ سَوَادَ الْأَجْسَامِ إِلَى بِيَاضٍ.

### يُجَابُ مِمَّا فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْآتِيَةِ:

- (س ١) أين كانت تُقيم أسرة «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»؟  
ولماذا لم يكن يَمُرُّ بتلك البُقعة إلا قليلٌ من الناس؟
- (س ٢) لماذا أحببت «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» الأرض التي وُلدت فيها؟
- (س ٣) متى كان الأخوان «مَرْجَانُ» و«كَهْرَمَانُ» يَخْرُجانَ للصيد والقنص؟  
وماذا دار بين «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» وأخويها، وهما يعتزمان القيامَ برحلة؟
- (س ٤) ما هي القِصَّة التي تحدتت بها «أُمُّ جَعْفَرٍ» إلى «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ»؟
- (س ٥) كيف أقنع الأخوان «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» بالعدول عن الرِّغبة في مُرافقتيها؟  
وماذا كانت عادة «مَرْجَانِ» حين يتأهب للصيد؟
- (س ٦) ماذا كان شعورُ الفتاة بعد سفرِ أخويها؟ وعلى أيِّ شيءٍ استقرَّ رأيها؟
- (س ٧) من أين علمت «أُمُّ جَعْفَرٍ» بقِصَّة «النَّهْرِ الْفِضِيِّ»؟
- (س ٨) ماذا طلبت «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» من «فَارِسِ الْغَابَةِ»؟

## لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ

- (س٩) ماذا طلبَ «فَارِسُ الغَابَةِ» من «لَوْلُوَّةِ الصَّبَاحِ»؟ وبماذا أجابته؟
- (س١٠) ما هي العِيشَةُ الرَّاضِيَةُ التي هيأتها «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» لـ«فَارِسِ الغَابَةِ»؟ وماذا كان يُجيب «فَارِسُ الغَابَةِ» إذا سألته عن مَوْعِدِ بَدْءِ الرَّحَلَةِ؟
- (س١١) كيف كانت حالُ الفتاةِ بعد أن طالَ انْتِظَارُها؟ وماذا صنَعَ بها «فَارِسُ الغَابَةِ»؟
- (س١٢) أين ذهبَ الأخوانِ حينَ رَجَعَا فلم يجدا أختَهما؟ وماذا فعَلَا بعد ذلك؟
- (س١٣) كيف كان طريقُ الأُسرةِ للعودةِ؟ وما اسمُ النَشِيدِ الذي تَعَنَّى به «مَرْجَانُ»؟
- (س١٤) كيف اقتنعت «لَوْلُوَّةُ الصَّبَاحِ» بِحَطِّئِهَا حينَ رَغِبَتْ في تَغْيِيرِ لَوْنِهَا؟